بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

معاناتي لهموم إنسان العصر وهواجسه ومآسيه ، وجهتني أول الأمر إلى أن أقدم مباحث هذا الكتاب بعنوان : القرآن وقضايا العصر .

ثم عدلت عنه ، لعلمي أن العصرية ابتذلت في زماننا ، واختلت موازينها فليس عصرياً من لا ينتحل منا فكر الفرنجة وينتمي إلى إحدى مدارسها ، ويشغل بالتيارات الوافدة التي سيطرت على كثير من مثقفينا المحدثين ، حصروا قضايا العصر في صراع المذاهب الاقتصادية والنظم السياسية والأوضاع الاجتماعية .

ولن يجدوا في كتابي هذا ما يشغلهم

ذلك لأني لا أنتمي إلى يمين ولا إلى يسار ، بالمصطلح المذهبي المعاصر . وإنما إنتمائي إلى الإنسانية في شمولها المطلق ، وولائي لعقيدتي التي أدين بها ، ولأمتي التي لا أرى سواها لي مذهباً .

وقد أرى في الانتماء إلى مذهب دخيل طارىء ، ما يجرح كرامة عقلي ويصادر حرية فكري بالإلزام المذهبي الذي يحدد لي زاوية الرؤية للحياة والإنسان ، ولا يسمح لي في أن اتجاوزها أو أحيد عنها .

متأثرة في هذا العزوف عن الانتماء إلى غير إنسانيتي وعقيدتي وأمتي ، بما حملني الإسلام من تكاليف حرية العقيدة والفكر والرأي. ومبلغ علمي أن المذاهب المحدثة ، اليمين منها واليسار ، تصادر هذه الحرية ، فلا يسمح أي مذهب منها

برأي مخالف، بل قد تهدر حياة الإنسان في سبيل فرض المذهب بالقسر والإكراه.

الشيوعية جريمة في أمريكا ،

والخروج عليها جريمة في الدول الماركسية .

وهذه بدورها يختلف فهمها للمذهب وتفسيرها إياه ، فلا يحل لروسي أن يميل إلى تفسير « ماوتسي تونج » كما لا يحل لصيني أن يخرج عليه ويفكر بغير عقلية الزعيم .

• • •

في النطاق الإنساني ، تشغلني قضايا كانت وستظل أبداً ، مشغلة الإنسان حيثما وأنى كان ، فيما يحمل من أمانة إنسانيته وتكاليف وجوده وشواغل دنياه وهواجس أخراه .

ويؤرقني من مآسي الانتهاك لحرمة الإنسان في عصرنا، ما يزهدني في مذاهب جديدة ونظم محدثة ، تتصارع على مناطق السيطرة وقواعد النفوذ ومجال الاستغلال في عالم يئن من مآسي الاضطهاد المذهبي والديني ، وجرائم القرصنة الصهيونية وفواجع التفرقة العنصرية .

وعصرنا يمن علينا بوثيقة لحقوق الإنسان ، أعلنتها هيئة الأمم المتحدة منذ نحو ربع قرن من الزمان .

من عجب أن هذه الفترة الزمنية ، هي عمر جيل من أبنائنا ، تنفسوا وهم أجنة في الأرحام ، غبار فاجعة هيروشيما ونجازاكي ، واستقبلتهم في المهد، عام إعلان وثيقة حقوق الإنسان ، جريمة العصر التي بترت جزءاً من وطن الإنسان العربي ، أخرج من دياره وأرض أجداده ، ونبذ بالعراء في مخيمات اللاجئين على زمجرة الوحش الصهيوني الذي اغتصب بلادنا يعربد فيها وينتهك أقدس حرمات الإنسان في مهد المدنية وأرض الرسالات .

وشهد هذا الجيل من أبنائنا أمته في صباه ، تقدم لمعركة تحرير الجزائر الباسلة أكثر من مليون شهيد فدية لشرف الإنسان .

وعاش بوجدانه وضميره ، حروب الإبادة والتدمير ومصارع الشهداء والضحايا ، في المذابح الجماعية بالشرق الآسيوي الإفريقي .

وتضيع حرمة المبادئ في تواطؤ أقطاب العصر لتتعادل موازين القوى المادية المسيطرة على عالم اليوم ، فتغدو أعرق الشعوب أوراقاً على مائدة اللعب لطواغيت هذا الزمان ، وبضاعة للتبادل بينهم والمساواة على مناطق النفوذ .

وفي معرض الأقنعة ، يستوي رداء القديس وعباءة الشيطان .

وتزيف القيم فيلهج بالسلام لصوص السلام ، ويبشر بحقوق الإنسان أعداء الإنسان ، ويرجم الاستعباد من استبدلوا بالرق الفردي الرق الجماعي ، وسخّروا العلم لوأد روح الإنسان بأجهزة جهنمية تغسل مخه وتستبيح ضميره وتنتهك مكنون سره ، وقد كان العبيد في العصور الخالية تُقيد أيديهم وأرجلهم بالسلاسل والأغلال ، وتبقى لهم ضمائرهم وقلوبهم منطقة حراماً لا تنتهك ، ولا تخضع لأي قيد أو رقابة . . .

• • •

وبإنسانيتي أرنو إلى أمتي في محنتها بأعداء الإنسان :

في ساعات معدودات ، سيق أقوى جيش لها في قلب الوطن العربي والعالم الإسلامي ، من حرب اليمن إلى مقبرة سينا .

وفي أيام قليلات ، سيق أقوى جيش لها في الشرق الأسيوي ، إلى مجزرة دكا ومصيدة البنغال .

وغير بعيد من باكستان المنكوبة ، تواجه أمتي مذابح جماعية في الفلبين ... والأسلحة هنا وهناك وهنالك ، من قطبي الصراع المذهبي الذي يسحق الملايين منا في لعبة توازن القوى .

ويلح على خاطري سؤال : ماذا يراد بأمتي ؟

فأرانا قد مزقتنا المذاهب والأوضاع والنظم ، فرقاً وأحزاباً وطوائف ، فذهبنا طرائق قددا .

وتستنزف الخصومة قوانا وتوقد بيننا نار العداوة والبغضاء، بعد أن تكفلت الإرساليات التبشيرية والمدارس الأجنبية ، بتربية جيل مشوه ممسوخ من أبناء الأمة ، يُدعى لغير آبائه وينتمي فكراً وثقافة ومذهباً إلى غير أمته .

وقد راج في أمتي كلام كثير عن نقد الفكر الديني وأفيون الشعوب المستضعفة ، وتهافت متهافتون على ما بهرهم من بضاعة مستوردة ، فمنهم من فتن عن دينه وكفر به جهلاً بعطاء قيمه وأصيل مبادئه وعالي مُثله ومنهم من ارتدى زي الكهنوت العصري ، فراح يروج في الأمة مخدرات سامة من بدع التأويلات التي لا تجوز على عقل ولا على دين ...

• • •

وإذ تحمل أمتي عبء هذه الجولة الشرسة من المعركة الضارية ضد أعداء الإنسان ، تأخذ قضاياها موضعها من قضايا الإنسان ، فيما تواجه من تكاليف الجهاد وتحديات العصر .

وهي قضايا أنظر إليها من الموقع الفكري الذي فرضت عليَّ عقيدتي ومدرستي أن أقف فيه ، نضالاً عن وجود أمتي وشرف الإنسان .

فليكن لسواي من المفكرين وجهات نظرهم إلى قضايا العصر من مختلف الزوايا التي يطلون منها على عالمنا .

وليتقبل أصدقائي القراء وجهة نظري من الأفق القرآني الذي أطل منه على وجودنا ، من حيث أدري أن هذا القرآن هو الذي صنع تاريخ أمتي وضم شعوبها تحت لوائه الجامع .

وهو الذي كرم الإنسان وأعطاه الكلمة الأخيرة للدين في ختام رسالاته ، وكل ميسر لما خلق له ..